قصة موسى والخضر عليهما السلام في الكتاب والسنة وأثرها في العملية التعليمية

د. مستورة رجا حجيلان المطيري(*)

(*) مدرس بقسم التفسير والحديث، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الكويت – دولة الكويت.

ملخص البحث:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين.. أما بعد،

فالإسلام دين يتصف بالشمولية والتكامل؛ لأنه منزل من لدن على حكيم، خبير، عليم بأحوال خلقه، وما يصلح شؤونهم.

ومن أهم الأمور التي عُني بها الإسلام ورفع من شأنها: قضية العلم والتعليم، فجاءت الكثير من الآيات والأحاديث التي ترسم للمسلمين المنهجية الصحيحة في طلب العلم وتعليمه، ومن ثم نشره وتفعيله.

ولعل في قصة موسى والخضر عليهما السلام: ما يفيد ذلك؛ إذ احتوت على أهم أركان المؤسسة التعليمية، ألا وهي طالب العلم، والمتعلم، والمنهج التعليمي.

فأشارت الآيات والأحاديث الواردة في تلك القصة إلى المواصفات التي ينبغى أن يتصف بها كل منهم على حدة، وهي كالآتي:

أولًا: طالب العلم، عليه أن يتحلى بقوة الإرادة والرغبة في تحصيل العلم والأدب المتمثل في التواضع والتلطف مع معلمه وحسن متابعته وقوة الملاحظة والانتباه حتى يستفيد من معلمه.

ثانيًا: المعلم لابد أن يكون على علم ودراية فيما يعلمه، وقدرته على حسن التعامل مع الطلبة ومعرفة كيفية احتوائهم، حتى يؤثر في طلبته فينتفعوا به.

ثالثًا: المنهج التعليمى لابد من العناية بمدى صلاحيته للتعليم، مع وضع خطة للسير فيه، وتنوع وسائل شرحه، وملاءمته لمستوى الطلبة، حتى يصبح منهجاً نافعاً مفيداً.

المقدمة:

بسم الله، والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم الدين أما بعد:

فإن الإسلام دين يتصف بالشمولية والتكامل لما فيه من الشرائع والأحكام والقصص والأمثال التي إن التزم بها المسلمون عاشوا في طمأنينة وسعادة واستقرار، قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا﴾ [الكهف: ١- ٢].

والعلم يعد من أهم متطلبات الإنسان الحياتية؛ لذا تتنافس الدول المعاصرة والمنظمات الدولية في إيجاد منظومة تعليمية متكاملة من خلال وضع أسس تضبط معايير جودة التعليم حتى يتحقق الهدف المنشود من العلم والتعليم.

ولقد جاءت قصة موسى والخضر عليهما السلام في الكتاب والسنة كأنموذجٍ لبيان أهم أسس وعناصر العملية التعليمية وكيفية توجيهها، والعناية بها، وهذا ما سيظهر في طيات البحث بإذن الله تعالى.

مشكلة الدراسة:

إن من أهم التحديات التي تواجه دول العالم الإسلامى في العصر الحالى، كيفية تصحيح مسار العملية التعليمية في مجتمعاتها، إذ تعد من أهم العوائق التي تحول دون تطور وتقدم تلك المجتمعات، وهذا أمر لا ينبغى أن يكون له وجود عند المسلمين، فالدين الإسلامى أعلى من شأن العلم والعلماء وبين المنهجية السليمة لطلب العلم وتعليمه في كثير من الآيات والأحاديث ومنها: قصة موسى والخضر عليهما السلام.

خطة البحث:

الدراسة مكونة من مقدمة ومدخل وثلاثة مباحث وخاتمة، وهي كالآتى:

المقدمة.

مدخل.

المبحث الأول: صفات طالب العلم في قصة موسى والخضر عليهما السلام ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: الرغبة والإصرار على تحصيل العلم والاستزادة منه.

المطلب الثاني: التأدب مع المعلم.

المطلب الثالث: الانتباه والملاحظة.

المبحث الثاني: صفات المعلم في قصة موسى والخضر عليهما السلام ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: الكفاءة في التعليم.

المطلب الثاني: القدرة على احتواء الطلبة ومعرفة كيفية التعامل معهم.

المبحث الثالث: مواصفات المنهج التعليمى في قصة موسى والخضر عليهما السلام، ويشتمل على ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: العناية بصلاحية المنهج التعليمى ووضع خطة له.

المطلب الثاني: ملاءمة المنهج التعليمى لمستوى فهم الطالب.

المطلب الثالث: التنوع في وسائل شرح المنهج التعليمي.

الخاتمة.

المراجع والمصادر.

مدخل:

إن نهضة المؤسسات التعليمية ونجاحها متوقف على مدى فاعلية وقوة الأسس والأركان التي تبنى عليها، وتساعدها على إتمام رسالتها الحضارية المتمثلة في إرشاد وتثقيف وتوعية المجتمعات البشرية لما فيه خيرها وفلاحها، لذا تسعى الدول المتقدمة في العالم المعاصر إلى العناية والاهتمام بمؤسساتهما ومراكزها التعليمية من خلال وضع الدراسات والبحوث التي تعنى بتطوير تلك المؤسسات، وإزالة كافة العوائق والمشكلات التي تواجهها.

والعلم والتعليم في الشريعة الإسلامية لهما مكانة سامية وعالية دل على ذلك أن أول آية نزلت على رسول الله تدعو للعلم والمعرفة قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾، أي: تعلم القراءة، كما أخبر بذلك السندي[(١)].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩].

وقال ﷺ "إنما العلم بالتعلم"[(٢)].

وقال الشافعي: طلب العلم أفضل من صلاة النافلة، وقال ليس بعد الفرائض أفضل من طلب العلم، وقال: من أراد الدنيا فعليه بالعلم، ومن أراد الآخرة فعليه بالعلم، وقال من لا يحب العلم فلا خير فيه، فلا يكن بينك وبينه معرفة ولا صداقة...[(٣)].

---

(١) متن البخاري بحاشية السندي – كتاب بدء الوحي – باب كيف كان بدء الوحي... (٧/١) مطبعة دار إحياء الكتب العربية، لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه.

(٢) قال ابن حجر في الفتح (١٩٤/١): (هو حديث مرفوع، أورده ابن أبي عاصم والطبراني من حديث معاوية أيضًا بلفظ: "يا أيها الناس، تعلموا، إنما العلم بالتعلم، والفقه بالتفقه، ومن يرد الله به خيرًا يفقهه في الدين" إسناده حسن، إلا أن فيه مبهماً اعتضد بمجيئه من وجه آخر وروى البزار نحوه من حديث ابن مسعود موقوفاً. ورواه أبو نعيم الأصبهاني موقوفًا، وفي الباب عن أبي الدرداء وغيره،) والمعنى ليس العلم المعتبر إلا المأخوذ من الأنبياء وورثتهم على سبيل التعلم.

(٣) المجموع شرح المهذب: للنووي، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبدالموجود وآخرين – ٢٠٠٢م – دار الكتب العلمية – بيروت (ص١٥٧٨).

والناظر في قصة موسى والخضر عليهما السلام يجد أن الله عز وجل قد وضع لنا منهجاً ربانياً يعنى بتلك المؤسسات ويطورها، إذ اشتملت تلك الحادثة على أهم ثلاثة عناصر تقوم وتبنى عليها المؤسسات التعليمية، ألا وهي: طالب العلم، والمعلم، والمنهج التعليمي. فبينت المنهج المتبع في كل عنصر منها حتى يكون التعليم مبنياً على أسس صحيحة متكاملة تهدف إلى الرقي بالمستوى التعليمى، ومن ثم تهذيب وتطوير الفكر الإنساني على وجه هذه البسيطة.

وإن كانت القصة المذكورة لا تشتمل على كل المواصفات المطلوبة في كل من طالب العلم والمعلم والمنهج التعليمي على سبيل الاستقصاء والحصر وإنما جاء فيها ذكر بعض من تلك المواصفات.

ومما ينبغي الإشارة إليه: أن المفاهيم التعليمية المذكورة في قصة موسى والخضر عليهما السلام ليست قاصرة – فقط – على تعليم العلوم والمعارف، وإنما تضمنت تعليم القيم والأخلاق والمهارات التي يحتاج إليها المتعلمون، وهذا مهم وضرورى حتى يؤتي العلم والتعليم ثمارهما؛ فتنتفع بهما الأمم في الدنيا والآخرة.

قال الدكتور زغلول النجار (من المعاصرين): "... من النواتج الحزينة لتبنى نظم التعليم المعاصر: فكرة الاستمرار بالعملية التعليمية (وبالتالى المجتمعات) دون تقيد بالمبادئ الأخلاقية؛ مما أدى إلى تفاقم مشكلة التحلل الأخلاقى يوماً بعد يوم، وهذا التحلل الأخلاقى الذى أخذ يجتاح العالم ويتغلغل في المجتمعات على تباين مستوايتها واختلاف طبقاتها وتعدد مجالات نشاطها، هذا النشاط الأخلاقى يقف من وراء أزمة التعليم المعاصر في العالم إن لم يكن من وراء الأزمات الاقتصادية والسياسية والعسكرية وأزمات الغذاء والطاقة وغيرها من الأزمات العالمية، ومن هنا فإن الصيحة الآن من أجل تعليم أخلاقي؛ لأن التعليم لا يمكن أن يكون كاملاً دون أخلاق"[1].

---

(١) أزمة التعليم المعاصرة وحلولها الإسلامية: زغلول النجار – نشر وتوزيع الدار العالمية للكتاب الإسلامى – ط ٢ – ١٩٩٥م – الرياض (ص٦٥).

المبحث الأول
صفات طالب العلم في قصة موسى والخضر عليهما السلام

يعد طالب العلم من أهم الأسس التي تعنى بها المؤسسات التعليمية في الدول المتطورة، إذ ما أقيمت وشيدت تلك المؤسسات إلا لتعليم هؤلاء الطلبة وتوعيتهم، وإمدادهم بالعلم النافع، والمفاهيم والقيم الصحيحة، التي تعود عليهم وعلى مجتمعاتهم بالرقى والازدهار.

وهذا ما أشارت إليه الآيات والأحاديث الواردة في قصة موسى والخضر عليهما السلام، إذ ذكرت بعض المواصفات التي يجب أن يتحلى بها طالب العلم حتى يتسنى له الاستفادة مما يتعلمه وهي كالآتي:

المطلب الأول
الرغبة والإصرار على تحصيل العلم والاستزاده منه

لابد أن يكون لدى الطالب رغبة ذاتية، ودافع نفسي، وعلو همة تدفعه إلى طلب العلم والسعي في تحصيله؛ لأن ذلك مما يهون عليه المشاق والمتاعب التي يواجهها أثناء تحصيله للعلم. دل على ذلك موقف موسى عليه السلام عندما أخبره الله عز وجل بأن هناك من هو أعلم؛ منه فولد عنده الرغبة والإصرار في تحصيل ذلك العلم.

روى البخاري في صحيحه عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال: "بينما موسى في ملإ من بني إسرائيل جاءه رجل فقال: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ قال موسى: لا، فأوحى الله عز وجل إلى موسى بلى عبدنا خضر، فسأل موسى السبيل إليه، فجعل الله له الحوت آية، وقيل له: إذا فقدت الحوت فارجع فإنك ستلقاه، وكان يتبع أثر الحوت في البحر فقال لموسى فتاه: ﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ ﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ فوجدا خضراً فكان من شأنهما الذى قص الله عز وجل في كتابه[1].

---

(١) أخرجه البخاري فى صحيحه "الفتح" كتاب العلم – باب الخروج فى طلب العلم (١/٢٠٨ – ح ٧٨).

فلقد تجلت رغبة موسى عليه السلام وعزمه على السير إلى لقيا ذلك العالم منذ أن علم به في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا﴾[1] [الكهف:٦٠]، قال البقاعى (-٨٨٥هـ): "أي لا أزال سائراً في طلب العبد الذى أعلمنى ربى بفضله"[2].

قال الفخر الرازي (-٦٠٦هـ):

"هذا إخبار من موسى بأنه وطن نفسه على تحمل التعب الشديد والعناء العظيم في السفر لأجل طلب العلم، وذلك تنبيه على أن المتعلم لو سافر من المشرق إلى المغرب لطلب مسألة واحدة لحق له ذلك"[3].

بل إن موسى عليه السلام لم يلتفت إلى قول الخضر عليه السلام عندما التقى به وقال له: "أما يكفيك أن التوراة بيدك وأن الوحى يأتيك"[4] بل أصر على المضى في طريقه للاستزاده من العلم، وهذا النهج في طلب العلم وتحصيله سار عليه الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً، والتابعون رحمة الله عليهم جميعاً - فيما بعد - والتزموا به؛ فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: لما توفى رسول الله ﷺ قلت لرجل من الأنصار: هلم نسأل أصحاب رسول الله ﷺ فإنهم اليوم كثير فقال: واعجباً لك يا ابن عباس! أترى الناس يحتاجون إليك، وفي الناس أصحاب النبي ﷺ من ترى؟ فترك ذلك وأقبلت على المسألة، فإن كان ليبلغنى الحديث عن الرجل، فآتيه وهو قائل، فأتوسد ردائي على بابه، فتسفى الريح على التراب، فيخرج، فيراني، فيقول: يا ابن عم رسول الله ! ألا

---

(١) الحقب: من حقباً أي دهراً طويلاً، والحُقب جمع الحَقْب، قال عبد الله بن عمر: والحقب ثمانون سنة. انظر تفسير البغوى (٣/ ١٧١).

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: البقاعى، خرج آياته وأحاديثه عبد الرزاق غالب المهدي - ١٩٩٥م - دار الكتب العلمية - بيروت. (٤/ ٤٨٦).

(٣) التفسير الكبير: الفخر الرازى - ط ٣ - دار إحياء التراث (٢١/ ١٢٦).

(٤) طرف من حديث طويل أخرجه البخاري في الصحيح "الفتح" - كتاب التفسير - باب "فلما بلغا..." (٨/ ٢٦٣ - ح ٤٧٢٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

أرسلت إلى فأتيك؟ فأقول: أنا أحق أن آتيك، فأسألك، قال: فبقي الرجل حتى رآني وقد اجتمع الناس علي، فقال: هذا الفتى أعقل مني[١].

وقال أيضاً: ﷺإن كنت لأسأل عن الأمر الواحد ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ[٢].

وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال ﷺ: والله الذى لا إله غيره، ما أنزلت سورة من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيما أنزلت، ولو أعلم أحداً أعلم منى بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه[٣].

ورحل جابر بن عبد الله إلى عبد الله بن أنيس في حديث واحد[٤]، وروى مالك عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب قوله: "إن كنت لأرحل الأيام والليالى في طلب الحديث الواحد"[٥].

وقال الشعبي رحمه الله: "رحل مسروق إلى البصرة في تفسير آية، فقيل له: إن الذى يفسرها رحل إلى الشام فتجهز، ورحل إلى الشام حتى علم تفسيرها"[٦].

وغيرها من الأدلة والشواهد الكثيرة التي تدل على وجود الرغبة والإصرار عند الأوائل في طلب العلم وتحصيله حتى لو تكبدوا عناء السفر ومشقته.

---

(١) سير أعلام النبلاء: الذهبي، تعليق وتخريج محمد أيمن الشبراوي – ٢٠٠٦م – دار الحديث – القاهرة. (٤/٣٨٥).

(٢) سير أعلام النبلاء: الذهبي – (٤/٣٨٦).

(٣) أخرجه البخاري في الصحيح (الفتح)، كتاب فضائل القرآن – باب القراء من أصحاب رسول الله؟ (٨/٦٦٣– ح ٥٠٠٢).

(٤) أخرجه البخاري تعليقاً في الصحيح (الفتح)، كتاب العلم – باب الخروج في طلب العلم (١/٢٠٨).

(٥) فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي – ١٩٨٦ – دار الريان – القاهرة. (١/٢١٠).

(٦) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي وآخرين – ٢٠٠٦م – مؤسسة الرسالة – بيروت، (١/٤٦).

ولعله من الجدير بالذكر في هذا المقام: الإشارة إلى أن طلب العلم وملاقاة الشيوخ والاحتكاك بهم والتواصل معهم لا يفيد في تحصيله فقط، وإنما يفيد في حصول ملكة العلم ورسوخها لدى المتعلم؛ مما يبرز أهمية دور المعلم في حياة طالب العلم.

قال ابن خلدون (-٨٠٨هـ): "والاصطلاحات - أيضاً - في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم، حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم. ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين. فلقاء أهل العلوم، وتعدد المشايخ، يقيده تمييز الاصطلاحات، بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم وطرق توصيل. وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في الملكات، ويصحح معارفه ويميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم. وهذا لمن يسر الله عليه طُرُقَ العِلْم والهداية"[(١)].

مع ذلك لابد من بيان أن الرغبة والإصرار في طلب العلم ينبغى أن تقترن بالأخلاق الفاضلة، من أدب وتواضع وحسن متابعة حتى يتهيأ للطالب تحصيل العلم المراد، وهذا ما سيظهر في المطلب الثاني.

المطلب الثاني
التأدب مع المعلم

حتى يستفيد الطالب من معلمه لابد أن يتحلى بصفة الأدب في التعامل معه فيقدره ويحترمه، إذ التهاون في تلك المسألة يحرم الطالب الكثير من علم أستاذه ويوجب النفرة بينهما؛ وذلك ما خاطب به موسى الخضر عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦].

---

(١) مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجودي - ١٩٩٥م - المكتبة العصرية - بيروت (ص٥٤٠).

قال الفخر الرازى: "اعلم أن هذه الآيات تدل على أن موسى راعى أنواعاً كثيرة من الأدب واللطف عندما أراد أن يتعلم من الخضر"[١].

قال النووى (-٦٧٦هـ): وينبغي أن ينظر إلى معلمه بعين الاحترام ويعتقد كمال أهليته على أكثر طبقته فهو أقرب إلى انتفاعه به ورسوخ ما سمعه منه في ذهنه[٢].

ومن مظاهر الأدب التي راعاها موسى مع الخضر عليهما السلام ما يلي:

أولاً: التواضع والتلطف في الحديث:

إن تواضع الطالب مع معلمه وتلطفه في الحديث معه وإظهار الحاجة إليه وعدم التكبر والتعالي عليه، لكفيل بأن يترك أثراً عظيماً في نفس المعلم فيقبل عليه ويحرص على تعلميه.

دل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦].

فقوله: ﴿تُعَلِّمَنِ﴾ فيه إقرار من موسى للخضر على نفسه بالجهل، وعلى أستاذه بالعلم، وهذا مبالغة منه في التواضع كما أخبر بذلك الرازى[٣].

وقال السعدي (-١٣٧٦هـ) في بيان الفوائد المستفادة من تلك الآية ما يلي:

"ومنها: التأدب مع المعلم، وخطاب المتعلم إياه بألطف خطاب؛ لقول موسى عليه السلام ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف: ٦٦] فأخرج الكلام بصورة الملاطفة والمشاورة، وأنك هل تأذن لى في ذلك أم لا، وإقراره بأنه يتعلم منه؛ بخلاف ما عليه أهل الجفاء والكبر الذى لا يظهر

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٢١/١٥١).
(٢) كتاب العلم وآداب العالم والمتعلم: النووي، تحقيق عبد الله بدران - ١٩٩٣م - دار الخير - بيروت (ص١٠٤).
(٣) التفسير الكبير للرازي (٢١/١٥١).

للمعلم افتقاره إلى علمه، بل يدعى أنه يتعاون هو وإياه، بل ربما ظن أنه يعلم معلمه، أو إظهار الحاجة إلى تعليمه من أنفع شيء للمتعلم"[١].

وهذا النهج في التواضع مع المعلمين سار عليه السلف والخلف من بعد.

عن عيسى بن يونس قال: كنا بأرض الروم أنا وابن المبارك، فربما استحييت من خدمة ابن المبارك إياي، يأخذ بركابي، فإذا نزلنا قدم لنا الخبيص فيلقمنى، ويقعد فيسألني عن الحديث ويكتب فأقول له – يا شيخ من صنعه وبره – لله أبوك، أما آن لك أن تشبع؟ فيقول: ومن يشبع من هذا الشأن[٢].

والالتزام بصبغة التواضع والأدب مع المعلم لها أثر طيب على نفس المتعلم؛ إذ تبعث السرور والانشراح في نفسه، فتجعله أكثر إقبالاً وطلباً للعلم.

قال البقاعي (–٨٨٥هـ): "وأتى ﷺ في سؤاله بهذه الأنواع من الآداب أو الإبلاغ في التواضع؛ لما هو عليه من الرسوخ في العلم؛ لأن كل من كانت إحاطته بالعلوم أكثر، كان علمه بما فيها من البهجة والسعادة أكثر، فكان طلبه لها أشد، فكان تعظيمه لأرباب العلوم أكمل"[٣].

ثانياً: الالتزام بالمتابعة:

أيضاً من الأمور المهمة التي تظهر أدب الطالب مع معلمه هو: اتباعه فيما يقول ويفعل، وترك المناقشة والاعتراض والمجادلة إلا بحدود الفهم والاستفسار، وذلك حق للمعلم على المتعلم كما أخبر بذلك ابن عاشور (–١٣٩٣هـ) قال: "وفيه إشارة إلى أن حق المعلم على المتعلم إتباعه والاقتداء به"[٤]. وهذا ما فعله

---

(١) تفسير السعدي، اعتنى به عبد الرحمن بن معلى اللويحق – ط ٤ – ٢٠٠٥م – مؤسسة الرسالة – بيروت (ص٤٨٤).

(٢) مقدمة الجرح والتعديل: ابن أبي حاتم الرازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – حيدر أباد (٢٧٨/١٠).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للبقاعى (٤٩١/٤).

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس (٦/ ٣٧٠).

موسى – بداية – مع الخضر عليهما السلام، حيث أراد موسى عليه السلام أن يبين للخضر عليه السلام مدى جديته وعزمه على تحصيل العلم، وأنه سوف يكون تابعاً له غير مخالف ولا معارض في أى شيء يقوله أو يفعله.

دل على ذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ﴾ [الكهف:٦٦].

قال الفخر الرازى: "إن المتابعة عبارة عن الإتيان بمثل فعل الغير لأجل كونه فعل ذلك الغير... وهذا يدل على أن المتعلم يجب عليه في أول الأمر التسليم وترك المنازعة والاعتراض"(١).

وهذا ما أشار إليه العلموي (–٩٨١هـ) فقال: "بل ينقاد إليه في أموره كلها، ويلقى إليه زمام أمره، ويذعن لنصحه، ويتحرى رضاه، ولا يختار إلا اختياره، ويأتمر بأمره، ولا يخرج عن رأيه، وليدع رأيه، فخطأ مرشده أنفع له من صوابه في نفسه، وفي قصة موسى والخضر تنبيه على ذلك"(٢).

والمتابعة قد تكون سهلة على من لا يملك من العلوم شيئاً، أما من درس العلوم ونظر فيها فإن المتابعة المطلقة تكون شاقة عليه ويصعب الالتزام بها، وهذا هو حال موسى عليه السلام، ولكنه – على الرغم من ذلك – أطلق المتابعة رغبة في تحصيل العلم الذي عند الخضر عليه السلام.

قال الفخر الرازى: "اعلم أن المتعلم على قسمين: متعلم ليس عنده شيء من العلم، ولم يمارس القيل والقال، ولم يتعود التقرير والاعتراض، ومتعلم حصل العلوم الكثيرة ومارس الاستدلال والاعتراض، ثم إنه يريد أن يخالط إنساناً أكمل منه ليبلغ درجة التمام والكمال، والتعلم في هذا القسم الثاني شاق شديد، وذلك لأنه إذا رأى شيئاً وسمع كلاماً فربما كان بحسب الظاهر منكراً إلا أنه في الحقيقة صوابٌ، فهذا المتعلم لأجل أنه ألف القيل والقال وتعود الكلام والجدال يفتر ظاهره، فيقدم على النزاع والاعتراض والمجادلة"(٣).

---

(١) التفسير الكبير للرازي (٢١/١٥١).

(٢) المعيد في أدب المفيد والمستفيد: العلموى، وقف على طبعه أحمد عبيد – المكتبة العربية – دمشق (ص٤٩).

(٣) التفسير الكبير: الرازي (٢١/١٥٢).

وهذا ما حصل لموسى عليه السلام، فلقد فوتت تلك المجادلة والاعتراض عليه الانتفاع بعلم الخضر عليه السلام.

فعن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله قال: "وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص علينا من خبرهما"[(١)].

وفي رواية أخرى عن أبى بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: "رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا أنه عجل لرأي العجب، ولكن أخذته من صاحبه ذمامه"[(٢)].

فالمتابعة في حقيقتها تقتضي أن يكون الطالب صبوراً متحملاً لمعلمه حتى ينال ما عنده من علم.

ولقد نبه الخضر موسى عليهما السلام على ذلك حين طلب منه الاتباع. قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف:٦٧].

قال السعدي: "أي لا تقدر على اتباعى وملازمتي"[(٣)].

وعلى الرغم من ذلك فقد حاول موسى عليه السلام أن يظهر للخضر مدى صبره وقوة تحمله قال تعالى: ﴿قَالَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا﴾ [الكهف:٦٩] قال ابن عاشور: "وفي هذا دليل على أن أهم ما يهتم به طالب العلم هو الصبر والطاعة[(٤)].

ومع ذلك لم يستطع موسى الصبر على الأفعال التي قام بها الخضر عليهما السلام فأخذ يجادل الخضر ويظهر الاعتراض على ما يفعله.

---

(١) طرف من حديث طويل أخرجه البخاري في الصحيح (الفتح)، كتاب التفسير – باب (وإذ قال موسى لفتاه) (٨/٢٦١ ح ٤٧٢٥) وفى كتاب العلم – باب ما يستحب للعالم إذا سئل (١/٢٦٣ ح ١٢٢).

(٢) أخرجه مسلم في الصحيح – كتاب الفضائل – باب من فضائل الخضر عليه السلام (٤/١٨٥٠ – ح ١٧٢) عن أبى بن كعب.
ذمامه: أي حياء وإشفاق من الذم: اللوم. انظر النهاية في غريب الحديث الأثر (٢/١٧٠).

(٣) تفسير السعدي (ص٤٨٤).

(٤) تفسير التحرير والتنوير: ابن عاشور (٦/٣٧٣).

قال السعدي: "إن من ليس له قوة الصبر على صحبة العالم والعلم، وحسن الثبات على ذلك، إنه يفوته – بحسب عدم صبره – كثير من العلم، فمن لا صبر له لا يدرك العلم، ومن استعجل الصبر ولازمه، أدرك به كل أمر سعى فيه لقول الخضر – يعتذر من موسى بذكر المانع لموسى من الأخذ عنه – إنه لا يصبر معه"[١].

المطلب الثالث
الانتباه والملاحظة

الانتباه والملاحظة من أهم المهارات التي يجب أن يكتسبها طالب العلم حتى يستوعب ويفهم المادة العلمية، وهي من استراتيجيات التعليم في العصر الحديث، قال روبرت فارزونا: "وإن استراتيجية التركيز على الانتباه على سبيل المثال تجعل الطالب يدرك مسؤولياته"[٢] وهي شكل من أشكال التعلم النموذجي[٣].

وقال هربرت د. كوهل: "وأنا اعتقد – أيضاً – أن التعلم لا يحدث من خلال إجادة سلسلة من المهارات الصغيرة تتطور وتنمو خطوة فخطوة، ولكنها تحدث من خلال الفطنة والتبصر وتفهم المهارات المختلفة وأجزاء من المعلومات توضع مكانها، وهذا يحدث بطرق مختلفة بالنسبة للأفراد المختلفين"[٤].

---

(١) تفسير السعدي (ص٤٨٢).

(٢) التدريس من أجل تنمية التفكير: تأليف هربرت ويلبرج وآخرين، ترجمة د. عبد العزيز البابطين – ١٩٩٥ – مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض (ص٥٧).

(٣) يطلق على التعلم بالنموذج: التعلم بالملاحظة، حينما ينصب الاهتمام على الميراث البيئة ويتم دراسة العوامل المؤثرة في الإدراك لتحديد ما يؤثر على الانتباه للنموذج ومن ثم ملاحظته.
من كتاب نظريات ومشكلات في سيكلوجية التعلم، تأليف أرنوف ويتيج – ترجمة عادل عز الدين الأشول وآخرين، مراجعة د. عبد السلام عبد القادر وآخرين، دار ماكجروهيل للنشر – نيويورك ١٩٨١م.

(٤) "عن فن التدريس": تأليف هربرت د. كوهل. ترجمة د. سعاد جاد الله، ومراجعة محمد سليمان شعلان. دار الفكر العربي – بيروت – ١٩٨٤م. (ص٨٣).

وهذا ما نبه عليه الخضر حين قبل تعليم موسى عليهما السلام. قال تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٧٠].

قال أبو السعود (-٩٥١هـ): "قوله: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ﴾ تشاهده من أفعالي أي: لا تفاتحني بالسؤال عن حكمته فضلاً عن المناقشة والاعتراض... وقوله: ﴿حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ أي: حتى ابتدئ ببيانه، وفيه إيذان بأن كل ما يصدر عنه فله حكمة وغاية حميدة البتة، وهذا من أدب المتعلم مع العالم والتابع مع المتبوع"[(١)].

والتزم موسى بذلك، فلقد كان ملاحظاً ومنتبهاً لأفعال وحركات الخضر عليهما السلام، دل على ذلك سرعة إنكاره عليه عندما قام بنزع ألواح السفينة وقتل الولد وبناء الجدار، مما جعل الخضر عليه السلام يفارقه.

فانتباه الطالب لمعلمه يساعده على تحصيل العلم والمعرفة منه بوقت وجيز.

"إن النجاح يتطلب المثابرة والتركيز على مهمة معينة حتى الانتهاء منها، ويؤدي ضعف الانتباه إلى انتقال الفرد من مهمة لأخرى دون إنجاز"[(٢)].

ولعله من الجدير بالذكر: الإشارة إلى أن المواصفات السابقة لطالب العلم، التي ذكرت في قصة موسى والخضر عليهما السلام ليست على سبيل الحصر. وإنما هناك مواصفات أخر ينبغي أن يتحلى بها طالب العلم. إلا أن اقتصار القصة على تلك المواصفات دون غيرها يوحي ويشعر بأهميتها عند طالب العلم، وذلك لأنها تُعَدُّ الأساس الذي يبني عليه طالب العلم منهجيته الصحيحة في طلب العلم وتحصيله.

---

(١) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بتفسير أبي السعود - دار إحياء التراث العربي - بيروت (٥/٢٣٥).

(٢) استراتيجيات التعلم والتعليم. النظرية والتطبيق: د. باسم الصرايرة وآخرين - ٢٠٠٩م - عالم الكتب الحديثة - أربد (ص١٤٥).

المبحث الثاني
صفات المعلم في قصة موسى والخضر عليهما السلام

يعد المعلم كذلك من أهم الأسس التي تبنى عليها المؤسسات التعليمية، إذ هو الوسيلة الأولى التي يعتمد عليها الطالب في تحصيل المعلومة وفهمها، والمعلم لا يستطيع أن يحقق الدور المناط به إلا إذا تحققت فيه عدة صفات علمية وخُلقية تساعده على القيام بدوره على أكمل وجه، وذلك ما أشارت إليه قصة موسى والخضر عليهما السلام وهي كالآتي:

المطلب الأول
الكفاءة في التعليم

نظراً لأن التعليم أعظم رسالة في حياة البشرية فإن ذلك يستلزم أن من يقوم بتلك المهمة يكون على قدر عال من العلم والدراية تجعله كفأً لأن يصير معلماً؛ حتى يتحقق الهدف المنشود من التعليم ويجني الطالب ثماره.

والكفاءة في التعليم لها وجهان:

الوجه الأول: تمكن المعلم من العلم الذي يقوم بتعليمه:

لابد أن يكون المعلم ملماً بالعلم الذي يقوم بتدريسه ومتمكناً منه، فضعف مستوى المعلم يؤدي إلى ضعف مستوى الطالب، دل على ذلك توجه موسى إلى الخضر عليهما السلام لتحصيل ما لديه من علم لم يكن موسى عليه السلام يعلمه، ولعل من أهم العوامل التي أثرت في التعليم في العالم الإسلامي هو غياب المعلم الكفء.

قال الزرنوجي رحمه الله تعالى: "أما في اختيار الأستاذ فينبغى أن يختار الأعلم والأورع والأسن، كما اختار أبو حنيفة رحمة الله عليه حماد بن سليمان بعد التأمل والتفكر، وقال: "وجدته شيخاً وقوراً حليماً صبوراً في الأمور"[(١)].

(١) كتاب تعليم المتعلم طريق التعلم: الزرنوجى، تحقيق مروان قبانى – المكتب الإسلامى – ١٩٨١م – بيروت (ص٧٢).

الوجه الثاني: القدرة على إيصال المعلومة بسهولة ويسر:

قدرة المعلم على توصيل المعلومة للطالب من خلال تبسيط الشرح والتدرج في عرض المادة العلمية على حسب مستوى فهم الطالب واستيعابه دليل بين وظاهر على كفاءته في التعليم.

دل على ذلك قول الخضر لموسى عليهما السلام. قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ قال ابن عاشور: "وفي هذا أصل من أصول التعليم: أن ينبه المعلم المتعلم بعوارض موضوعات التعليم الملفتة، لاسيما إذا كان في معالجتها مشقة"(١).

وقال السعدي في معرض تفسيره لقوله تعالى ﴿قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٧٠]:

"إن المعلم إذا رأي المصلحة في إيزاعه للمتعلم أن يترك الابتداء في السؤال عن بعض الأشياء، حتى يكون المعلم هو الذي يوقفه عليها، فإن كانت المصلحة تتبع، كما إذا كان فهمه قاصراً، أو نهاه عن الدقيق في سؤال الأشياء التي غيرها أهم منها، أو لا يدركها ذهنه، أو يسأل سؤالاً، لا يتعلق في موضوع البحث"(٢).

وقال ابن حجر (٨٥٢هـ): "وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج؛ لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلاً حبب إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته دائماً الازدياد"(٣).

وهذا ما أوصى به رجل مؤدب ولده حيث قال له: "لا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فإن اصطكاك العلم في السمع وازدحامه في الوهم مضلة الفهم"(٤).

---

(١) تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور (٦/٣٧٢).
(٢) تفسير السعدي (ص ٤٨٤).
(٣) فتح البارى لابن حجر (١/١٩٧).
(٤) عيون الأخبار: ابن قتيبة، شرحه وعلق عليه يوسف على طويل – الكتب العلمية – بيروت (٢/١٨٣).

ولعله من المناسب الإشارة إلى أن الكفاءة في التعليم لا تعني امتلاك معلومات في التخصص فقط، وإنما تعنى – أيضاً – مواصلة التحصيل العلمي والازدياد منه، وهذا ما فعله موسى عليه السلام، فعلى الرغم من سعة علمه الذي آتاه الله إياه إلا أن ذلك لم يمنعه من مواصلة طلب العلم. خاصة لما عاتبه الله عز وجل عندما أجاب السائل بأنه لا يوجد من هو أعلم منه.

قال الفخر الرازي: "لا يبعد أن العالم الكامل في أكثر العلوم يجهل بعض الأشياء فيحتاج في تعلمها إلى من هو دونه وهذا أمر متعارف ومعلوم"(١).

قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

وقال النووي: "ولا يكفي في أهلية التعليم أن يكون كثير العلم، بل ينبغى مع كثرة علمه بذلك الفن، أن يكون له معرفة في الجملة بغيره من الفنون الشرعية، فإنها مرتبطة"(٢).

وقال السعدي في معرض تفسيره لقوله تعالى ﴿عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ﴾: "وفيها تعلم العالم الفاضل للعلم الذي لم يتمهر فيه ممن مهر فيه، وإن كان دونه في العلم بدرجات كثيرة، فإن موسى عليه السلام من أولى العزم من المرسلين الذين مدحهم الله وأعطاهم من العلم ما لم يعط سواهم، ولكن هذا العلم الخاص كان عند الخضر ما ليس عنده؛ فلهذا حرص على التعلم منه"(٣).

وقال أيضاً: "إن زيادة العلم وعلم الإنسان أهم من ترك ذلك والاشتغال بالتعليم من دون تزود من العلم والجمع بين الأمرين أكمل"(٤).

---

(١) التفسير الكبير: الرازي (٢١/ ١٤٤).
(٢) كتاب العلم وآداب العالم والمتعلم: النووي (ص١٠٤).
(٣) تفسير السعدي (ص ٤٨٤).
(٤) تفسير السعدي (ص ٣٨٣).

المطلب الثاني
القدرة على احتواء الطالب ومعرفة كيفية التعامل معه.

تقتضى العلاقة بين المعلم والمتعلم أن يكون المعلم على دراية وخبرة واسعة في التعامل مع طلابه وذلك حتى يستطيع احتواءهم والسيطرة عليهم.

وهذه العلاقة لها وجهان قد يكونان متناقضين في الظاهر إلا أنهما ضروريان لضمان نجاح تلك العلاقة واستمرارها.

وهذا ما أشارت إليه الآيات الواردة في قصة موسى والخضر عليهما السلام حيث بينت هذين الوجهين.

الوجه الأول: الحزم في المعاملة.

لقد كان الخضر عليه السلام حازماً في تعامله مع موسى عليه السلام حين قبل صحبته وتعليمه، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف:٧٠].

فهذا شرط جازم اشترطه الخضر على موسى عليهما السلام في حال اتباعه إياه أن لا يسأله عن أي شيء مما يقوله أو يفعله.

قال القرطبي (- ٦٧١هـ) في تفسيره للآية السابقة ما يلي:

"أي حتى أكون أنا الذي أفسره لك، وهذا من الخضر تأديب وإرشاد لما تقتضى دوام الصحبة، فلو صبر لرأي العجب"(١).

لكن لما أخل موسى عليه السلام بالشرط الذي بينهما فارقه الخضر عليه السلام.

قال تعالى: ﴿قَالَ هَـٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف:٧٨].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين - ٢٠٠٦م - مؤسسة الرسالة - بيروت (٣٢٧/١٣).

الوجه الثاني: الرفق والتسامح والتغاضى عن الهفوات والأخطاء.

إن التفاهم مع الطلبة وتقدير ظروفهم ونفسياتهم والتجاوز عن هفواتهم وأخطائهم ما لم تكن مقصودة، أو مكررة موجبة للمحبة والمودة بين المعلم وطلابه؛ فيساعد ذلك على احتوائهم، وتُوجيههم، والاستفادة من معلميهم، وهذا ما دل عليه خطاب موسى للخضر عليهما السلام.

قال تعالى: ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف:٧٣].

قال البيضاوى (٧٩١هـ): "ولا تُغشنى عسراً من أمرى بالمضايقة والمعاتبة على المنسى فإن ذلك يُعسِّر عليَّ متابعتك"(١).

وقد أشار ابن خلدون إلى أثر ومضرة الشدة على المتعلمين فقال: "وذلك أن إرهاف الحد في التعليم مضر بالمتعلم، سيما في أصاغر الولد، لأنه من سوء الملكه. ومن كان مرباه بالعسف والقهر من المتعلمين أو المماليك أو الخدم، سطا به القهر، وضَيَّق على النفس في انبساطها، وذهب بنشاطها ودعاه إلى الكسل، وحُمِلَ على الكذب والخبث..."(٢).

فالشدة في التعليم لها أثر بالغ في عدم تحقيق الهدف المراد من التعلم والتعليم ألا وهي إصلاح أمور وأحوال الناس وإرشادهم لما فيه خيرهم ونفعهم في الدنيا والآخرة، قال رسول الله ﷺ "إن الله لم يبعثنى معنتاً ولا متعنتاً، ولكن بعثنى معلماً وميسراً"(٣).

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي – ١٩٨٨م – دار الكتب العلمية – بيروت (١٨/٢).

(٢) مقدمة ابن خلدون (ص٥٣٨).

(٣) أخرجه مسلم في الصحيح – كتاب الطلاق – باب بيان أن تخيير امرأته... (٢/ ١١٠٤ – ح١٤٧٨) عن جابر بن عبد الله.
قال الأبى في شرحه لصحيح مسلم (٢١٠/٥): "وأصل العنت: التعب والمشقة، والمعنت هو الذي يوقع العنت بغيره، والمتعنت هو الذي يحمل غيره على العمل بها".

المبحث الثالث
مواصفات المنهج التعليمي في قصة موسى والخضر عليهما السلام

إن المنهج التعليمى لا يقل أهمية عن طالب العلم والمعلم، فهو ركيزة أساسية في المؤسسات التعليمية، وله مواصفات وضوابط يقيد بها، ويتضح لنا المنهج التعليمى الذي سار عليه الخضر مع موسى عليهما السلام من خلال الحوار الذي دار بينهما كما دلت عليه الآيات الكريمات.

المطلب الأول: العناية بصلاحية المنهج ووضع خطة له:

إن المنهج الذي يتم تدريسه للطلبة لابد أن يحتوى على معلومات مفيدة قيمة تعود بالنفع على المتعلمين ومجتمعاتهم؛ فليس كل علم يعد علماً نافعاً، **فعن زيد بن أرقم رضى الله عنه أن النبى كان يقول: "اللهم إنى أعوذ بك من علم لا ينفع، ومن قلب لا يخشع، ومن نفس لا تشبع، ومن دعوة لا يستجاب لها"**[(١)].

وهذا ما دلت عليه الآية الكريمة قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦].

قال السعدي: في معرض تفسيره للآية السابقة ما يلى:

"أي هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمك الله ما به استرشد واهتدى وأعرف الحق في تلك القضايا..."[(٢)].

وقال أيضاً في بيان العلم النافع ما يلى: "إن العلم النافع هو العلم المرشد إلى الخير، فكل علم يكون فيه رشد وهداية لطرق الخير وتحذير من طريق الشر أو وسيلة لذلك، فإنه من العلم النافع، وما سوى ذلك، فإما أن يكون ضاراً أو ليس فيه فائدة لقوله: ﴿مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾"[(٣)].

---

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم في الصحيح – كتاب الذكر والدعاء... باب التعوذ من شر ما عمل... (٤/٢٠٨٨ – ح٧٣).
(٢) تفسير السعدي (ص٤٨٢).
(٣) تفسير السعدي (ص٤٨٤).

كما أن وضع خطط للمناهج التعليمية وبيان كيفية السير فيها مهم وضرورى لتغطية المنهج في الوقت المحدد له واستيعاب المادة العلمية، وهذا ما فعله الخضر مع موسى عليهما السلام حين بين له خطته في بداية الرحلة، فأمره بالاتباع التام وعدم السؤال والاعتراض حتى يبين له مقصوده من فعله، دل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، وغرض الخضر عليه السلام من هذا النهى أن يجمع موسى عليه السلام كل انتباهه وتركيزه فيفهم ويستوعب العلم الذي عند الخضر وليس عنده.

قال سليمان فؤاد قلادة (من المعاصرين): "وبذلك يمكن منذ البداية تخطيط محتوى الدرس، واستخدام الأنشطة المختلفة وتوجيهها الوجهة التي يراد منها التعلم المرغوب حسب الأهداف المخططه. ولما كان التفكير يشغل اهتمام مخططى المناهج والمتخصصين في طرائق التدريس، لذا كان لازماً على المعلم أن يخطط في تدريسه طرائق نمو التفكير بأنواعه المختلفة (التفكير الناقد، التفكير المجرد، التفكير الإبداعي..."[(١)].

المطلب الثاني
التنوع في وسائل شرح المنهج التعليمي

إن قصر شرح المنهج التعليمى على تلقين المادة العلمية للطلبة يعد خطأ فادحاً؛ لأن وسيلة التلقين مانعة من تنشيط الذهن عند الطالب في التفكير في المادة العلمية وتسلسلها والربط بين مصطلحاتها المختلفة؛ مما يضعف من أثر تلك المناهج في تعليم الطلبة وتقويمهم؛ إذ لابد من شرح المنهج التعليمى بوسائل عدة؛ حتى يكون متكاملاً.

قال دكتور عباس محجوب (من المعاصرين): "والمنهج – كما يعده الكثيرون – ليس مجرد المقررات الدراسية التي توضع، وإنما هو جسم تمثل

(١) طرائق التدريس ونماء الإنسان: فؤاد سليمان – توزيع دار المعرفة الجامعية – ١٩٩٨م – القاهرة (ص٦).

المقررات فيه عضواً من أعضائه، ومنها: طرق التدريس والوسائل المستخدمة، والأنشطة الممارسة "[١].

ولقد حرص الخضر عليه السلام على اتباع وسيلة التمثيل لشرح المنهج الذي سار عليه، وذلك لما للصور الحية المشاهدة من أثر في استثارة العواطف، ومن ثم في التفاعل مع الوضع المشاهد، سلباً أو إيجاباً، دل على ذلك نزعه لألواح السفينة، وقتله الغلام، وبناؤه للجدار، وكذلك قوله لموسى عليهما السلام: لما وقع عصفور على طرف السفينة: "فأخذ طائر بمنقاره من البحر، فقال: والله ما علمي وما علمك في جنب علم الله إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر"[٢].

قال القرطبي: "وهذا من الخضر تمثيل معلوماتي"[٣].

ولقد اتبع السلف التعليم بطريقة التمثيل، فلقد روى البخاري في صحيحه أن رجلاً قال لعبد الله بن زيد – وهو جد عمرو بن يحيى –: "أتستطيع أن تريني كيف كان رسول الله ﷺ يتوضأ؟ فقال عبد الله بن زيد: نعم. فدعا بماء فأفرغ على يديه مرتين، ثم مضمض واستنثر ثلاثاً، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ثم غسل يديه مرتين مرتين إلى المرفقين، ثم مسح رأسه بيديه فأقبل بهما وأدبر، بدأ بمقدّم رأسه حتى ذهب بهما إلى قفاه. ثم ردهما إلى المكان الذي بدأ منه، ثم غسل رجليه"[٤].

قال ابن حجر: "وكأنه أراد أن يريه بالفعل ليكون أبلغ في التعليم..."[٥] كما ذكر في فوائد الحديث أن التعليم يكون بالفعل[٦].

---

(١) نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم: د. عباس محجوب، ١٩٨٧م – مؤسسة علوم القرآن – عجمان (ص١٢٠).

(٢) طرف من حديث طويل، أخرجه البخاري في الصحيح (الفتح) – كتاب التفسير – باب "فلما بلغا مجمع... " (٨/٢٦٣ – ح ٤٧٢٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما.

(٣) الجامع في أحكام القرآن: القرطبي (١٣/٣٢٨).

(٤) أخرجه البخاري في الصحيح (الفتح) – كتاب الوضوء – باب مسح الرأس كله... – (١/٣٤٧ – ح ١٨٥).

(٥) فتح الباري لابن حجر (١/٢٤٩).

(٦) فتح الباري لابن حجر (١/٣٥٢).

بخلاف قصر المنهج على التلقين والحفظ فقط، فإنه يؤدى إلى فتور النشاط الذهنى وتبلده، وبالتالى عدم القدرة على التحليل والاستنباط.

المطلب الثالث
ملاءمة المنهج التعليمى لمستوى الطالب العقلي

من الضوابط المهمة أيضاً أن يكون المنهج التعليمى على قدر فهم الطالب ومناسباً لمستواه العقلى، إذ المنهج الصعب المعقد غير المفهوم يعد معوقاً وصارفاً ومنفراً عن طلب العلم وتحصيله، قال ابن مسعود رضى الله عنه ما أنت محدثٌ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة[١].

ولما كان الخضر عليه السلام يعلم أن ما سيقوم به من أعمال سوف تكون غير مفهومة لموسى عليه السلام بين له أنه لن يصبر عن السكوت عليها.

قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف:٦٧ – ٦٨].

قال الفخر الرازي: "إشارة إلى كونه غير عالم بحقائق الأشياء كما هي. وقد ذكرنا أنه متى حصل الأمر صعب السكوت، وعسر التعليم، وانتهى الأمر بآخرة إلى النفرة والكراهية، وحصول التقاطع والتنافر"[٢].

وقال الشوكاني (–١٢٥٠هـ): "أي كيف تصبر على علم ظاهره منكر، وأنت لا تعلم، ومثلك مع كونك صاحب شرع لا يسوغ له السكوت على منكر والإقرار عليه[٣].

وقال العلموي: "وكذلك لا يلقى لهم شيئاً لم يتأهلوا له؛ لأن ذلك يبدد

---

(١) أخرجه مسلم في الصحيح – المقدمة باب النهى عن الحديث بكل ما سمع (١/١١).
(٢) التفسير الكبير للرازي (٢١/١٥٢).
(٣) فتح القدير: للشوكاني، راجعه وعلق عليه هشام البخاري وخضر عكاوي – المكتبة العصرية – بيروت (٣/٣٧٦).

أذهانهم، ويفرق أفهامهم، فإن سأله الطالب من ذلك شيئاً فيعرفه أن ذلك يضره، وأنه لم يمنعه شحاً، بل شفقة ونصحاً، ثم يرغبه في التحصيل ليتأهل لذلك، وقد روى في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩] إنه الذي يربى الناس بصغار العلم قبل كباره"[١].

وقال ابن حجر: والمراد بصغار العلم ما وضح من مسائله، وبكباره ما دق منها، وقيل: يعلمهم جزئياته قبل كلياته، أو فروعه قبل أصوله، أو مقدماته قبل مقاصده، وقال ابن الأعرابي: لا يقال للعالم رباني حتى يكون عالماً معلماً عاملاً[٢].

وبناء على ما سبق يتبين لنا أن العناية بصلاحية المنهج، وتنوع وسائل شرحه – مع ضرورة أن يكون بمستوى فهم الطالب – يساعد على تحقيق مقاصد وأهداف التعليم العامة، والتي من أهمها تنوير الفكر الإنساني بالمعارف والعلوم فيتجه نحو الابتكار والتطوير والإبداع.

(١) المعيد في أدب المفيد والمستفيد (ص٤٨).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١/١٩٥).

الخاتمة

تبين في المباحث السابقة، أن نجاح المؤسسات التعلمية يتوقف على تكامل عناصرها الثلاث، ألا وهي: الطالب، والمعلم، والمنهج التعليمي.

وهذا ما دلت عليه قصة موسى والخضر عليهما السلام كأنموذج لبيان عناية الدين الإسلامي بالعلم والتعليم، وفي ذلك تحقيق لمقاصد الدين العامة التي تهدف إلى حفظ الإنسان ورعايته، وتوجيهه لما فيه خيره وصلاحه في الدنيا والآخرة.

ولعل من أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة الآتي:

أولاً: أن العناية بالمؤسسات التعليمية والحرص على تكامل أركانها في المجتمعات الإسلامية يجلب لها الازدهار والرخاء والسعادة والاستقرار؛ لما لها من أثر كبير في توعية الفكر الإنساني.

ثانياً: أن طلب العلم وتحصيله يحتاج إلى مثابرة وجد واجتهاد وعزم؛ حتى يتهيأ للطالب الفوز والفلاح.

ثالثاً: أهمية اقتران طلب العلم بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة وهذا ما دل عليه سلوك موسى مع الخضر عليهما السلام حين توجه إليه طالباً لعلمه فالتزم معه الأدب وحسن المتابعة؛ وذلك حتى يؤتي التعليم ثماره في صلاح الأفراد والمجتمعات.

رابعاً: لابد أن يكون المعلم على قدر من العلم والدراية في إدارة مادته العلمية وشؤون طلابه؛ مما يجعل منه قدوة حسنة لهم فيتأثرون به وينهجون منهجه وسلوكه.

خامساً: أهمية وضرورة العناية بالمنهج التعليمى الذي يدرس؛ لأنه المادة التي تغذي فكر الطالب بالمعلومات من خلال الحرص على تعليم العلم النافع والنظر في مدى ملاءمته لمستوى الطالب العقلي والفكري وتنوع وسائل شرحه لتقريبه بصورة سهلة إلى الأذهان.

التوصيات:

بعد البحث والدراسة في قصة موسى والخضر عليهما السلام كما وردت في الكتاب والسنة.

أوصي بالآتي:

أولاً: أهمية مدارسة الكتاب والسنة والتفاعل معهما للوقوف على حلول علمية تساعد على مواجهة وحل مشكلات المجتمعات الإسلامية التعليمية وغيرها.

ثانياً: أهمية النظر في تكامل أركان المؤسسة التعليمية من خلال عمل دورات وورش تعليمية تفيد الطلبة والمعلمين والقائمين على المناهج التعليمية حتى يؤتي التعليم ثماره ويجني المجتمع فوائده.

ثالثاً: توجيه مؤسسات الدولة الأخرى لدعم العلم والتعليم من خلال إبراز محاسنه التي تعود على المجتمعات الإسلامية بالخير والازدهار والتطور والنماء.

هذا والله ولي التوفيق

فهرس الأحاديث والآثار الواردة في البحث

طرف الحديث أو الأثر	الراوي	الصفحة
اتستطيع أن ترينى كيف كان...	عبد الله بن زيد	٢٥
أما يكفيك أن التوراة بيدك وأن الوحى يأتيك.	ابن عباس	٧
إن الله لم يبعثنى معنتاً.	جابر بن عبد الله	٢٢
إنما العلم بالتعلم.	معاوية	٣٠
بينما موسى في ملأ من بني إسرائيل جاءه رجل	ابن عباس	٦
رحمة الله علينا وعلى موسى، لولا...	أبي بن كعب	١٣
فأخذ طائر بمنقاره من البحر.	عبد الله بن عباس	٢٥
اللهم إنى أعوذ بك من علم.	زيد بن أرقم	٢٣
ما أنت محدثاً قوماً حديثا لا تبلغه عقولهم.	عبد الله بن مسعود	٢٥
والله الذي لا إله غيره ما أنزلت سورة.	عبد الله بن مسعود	٨
وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص.	عبد الله بن عباس	١٣

المصادر والمراجع

١ – إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم المعروف بتفسير أبى السعود – دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢ – أزمة التعليم المعاصر وحلولها الإسلامية: زغلول راغب النجار ط٢ – ١٩٩٥م – نشر وتوزيع الدار العالمية للكتاب الإسلامى –.

٣ – إكمال المعلم شرح صحيح مسلم: للأبي، ضبطه وصححه محمد سالم هاشم – ١٩٩٤م – دار الكتب العلمية – بيروت.

٤ – أنوار التنزيل وأسرار التأويل للبيضاوي – ١٩٨٨م – دار الكتب العلمية – بيروت.

٥ – التدريس من أجل تنمية التفكير: تأليف هربرت ويلبرج وآخرين، ترجمة د.عبد العزيز البابطين – ١٩٩٥ – مكتب التربية العربي لدول الخليج – الرياض.

٦ – تفسير البغوي: للبغوي، إعداد وتحقيق خالد عبد الرحمن الحك ومروان سوار – ١٩٨٦م – دار المعرفة – بيروت.

٧ – تفسير التحرير والتنوير: لابن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع – تونس.

٨ – تفسير السعدي، اعتنى به عبد الرحمن بن معلا اللويحق – ط ٤ – ٢٠٠٥ – مؤسسة الرسالة – بيروت.

٩ – التفسير الكبير: للفخر الرازي ط٣، دار إحياء التراث العربي.

١٠– الجامع لأحكام القرآن: للقرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرين – ٢٠٠٦م – مؤسسة الرسالة – بيروت.

١١– الجرح والتعديل: للرازي، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية – الهند.

١٢- سير أعلام النبلاء: للذهبي، تعليق وتخريج محمد أيمن الشبراوي - ٢٠٠٦م - دار الحديث - القاهرة.

١٣- صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - ١٩٩١م - دار الحديث - مصر.

١٤- طرائق التدريس ونماء الإنسان: فؤاد سليمان - ١٩٩٨م - توزيع دار المعرفة الجامعية - القاهرة.

١٥- عن فن التدريس: تأليف هربرت د. كوهل، ترجمة د. سعاد جاد الله. مراجع محمد سليمان شعلان - ١٩٨٤م - دار الفكر العربي - بيروت.

١٦- عيون الأخبار: لابن قتيبة، شرحه وعلق عليه يوسف على طويل - الكتب العلمية - بيروت.

١٧- فتح الباري بشرح صحيح البخاري: لابن حجر، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي - ١٩٨٦ - دار الريان - القاهرة.

١٨- فتح القدير: للشوكاني، راجعه وعلق عليه هشام البخاري وخضر عكاوي - المكتبة العصرية - بيروت.

١٩- كتاب استراتيجات التعلم والتعليم والنظرية والتطبيق: د باسم الصرايرة وخالد عبد العزيز الفليج ويحيى الصحاوي وفراس السلتي، ٢٠٠٩ - عالم الكتب الحديثة - أربد.

٢٠- كتاب العلم وآداب العلم والمتعلم: للنووي، تحقيق عبد الله بدران - ١٩٩٣م - دار الخير - بيروت.

٢١- كتاب تعليم المتعلم طريق التعليم: لبرهان الإسلام الزرنوجي، تحقيق مروان قباني، المكتب الإسلامي - ١٩٨١م - بيروت.

٢٢- متن البخاري بحاشية السندي، دار إحياء الكتب العربية لأصحابها عيسى البابي الحلبي وشركاه.

٢٣- المجموع شرح المهذب: للنووى، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، ٢٠٠٢ - دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٤- المعيد في أدب المفيد والمستفيد: الشيخ عبد الباسط العلموي، وقف على طبعه أحمد عبيد - المكتبة العربية - دمشق.
٢٥- مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي - ١٩٩٥م - المكتبة العصرية - بيروت.
٢٦- نحو منهج إسلامي في التربية والتعليم: د. عباس محجوب، ١٩٨٧م - مؤسسة علوم القرآن، عجمان.
٢٧- نظريات ومشكلات في سيكولوجية التعليم: تأليف أرنؤف وينيج، - ترجمه عادل عز الدين الأشول وآخرين، مراجعة عبد السلام عبد القادر وآخرين - نيويورك ١٩٨١م - دار ماكروهيل للنشر.
٢٨- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور: للبقاعي، خرج آياته وأحاديثه عبد الرازق غالب المهدي - ١٩٩٥ - دار الكتب العلمية - بيروت.
٢٩- النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير الجزري، ط٢ - ١٩٧٩م، دار الفكر - بيروت.